العربية ومصطلحاتها بين الاستعمال والإهمال

أ. د. علي توفيق الحمد

المحور الأول: العربية والهوية الوطنية العربية

- العربية لغة مرنة وغنية، وسِعت كلام الله سبحانه وتعالى،وهدْي والرسول (ص)، وتشريعات ديننا الحنيف وهديه، وقد وسعت حضارة عظيمة عريقة، بمجالاتها المختلفة.
- وعرّبت مصطلحات الحضارات الشرقية والغربية بعد استيعاب مفاهيمها.
- بقيت لغة الحضارة العالمية قرونًا.
- وقد وسعت وحفظت، ثم نقلت مفاهيم العلوم المختلفة، ومصطلحاتها – أحيانا – إلى لغات العالم.
- بقيت لغة العلوم وتدريسها في معاهد أوروبا إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي، وهذا بإقرار الغربيين – المنصفينَ منهم.
- هذا ماضي العربية وتاريخها وإسهامها في الحضارة الإنسانية العالمية، مما حفظ لها مكانتها وإمكاناتها وحيويتها قرونًا طويلةحتى اليوم. ثم جدّت ظروف سياسية واقتصادية وخلافية في الجسم العربي العريق، أصابته بشلل فكري، وتخلّف اجتماعي وحضاري، انعكس على واقع العربية ومصطلحاتها في الاستعمال بين أهلها في مجالات الحياة المختلفة، ولغة العلوم والنشر والتعليم.
- يتجلّى العلاج – مبدئيا – باستشراف المستقبل المشرق للعربية ومصطلحاتها، وبالإخلاص وصدق الانتماء، برغم صور سلبية للواقع اللغوي والحضاري العربي، وبرغم هذه اللهجات وتباعدها، ومن تولّد لغات مستقلة، بفضل الإسلام وانتشاره، وبفضل القرآن الكريم وقراءاته؛ واستمرار العلاقات والمصالح الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك حفظ الوحدة اللغوية العربية، وإن بقيت بعض الاختلافات والسمات اللهجية، لكنّ أيًا منها لم يَرْقَ إلى أن يكون لغة مستقلة، بخصائص تؤهلها إلى ذلك، وإن كنا نقرأ أو نسمع أحيانا مصطلحات ليست دقيقة الدلالة، أو علمية بالمفاهيم والحدود العلمية الدقيقة الدلالة، أو المفاهيم المحددة في علوم اللغات الحديثة، كقولهم: لغة هذيل، أو لغة قيس، أو لغة تميم، أو لغة الحجاز، وغير ذلك، ولكنها كلها لا تحمل سمات أو خصائص تؤهل أيًا منها أن تكون لغة مستقلة بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، إنما كانت كل منها لهجة تولّدت وتفرّعت عن اللغة الأم؛ وسبب ذلك هو الصلات الدائمة والمستمرة بين هذه اللغات (لغات القبائل)، والأصل الواحد المشترك.

وبقيت الخلافات بينها خلافات لهجية تنتمي كلها إلى لغة أم هي لغة القرآن الكريم، التي تمثل في جوهرها ومعظمها – لغة الحجاز، وإن كان فيها قراءات وخصائص تمثل بعض لغات القبائل المختلفة، ولكن لم تَرْقَ أيّ من تلك اللغات إلى ان تمثل لغة عامة في وجه اللغة الحجازية لغة قريش، أو لغة تميم، لأسباب مختلفة.

ولعل سبب سيادة اللغة الحجازية هو الناحية الدينية، واختيار هذه اللغة لغة التنزيل الإلهي الكريم، وهكذا فإن لغة الحجاز كان لها السيادة والانتشار لسبب ديني، إذ إن مكة كانت مقصد الحج قبل الإسلام وبعده، ولأسباب أخرى اجتماعية أو اقتصادية تجارية، ولكن بنسبة أقل.

وأما عن لغة تميم فلها السيادة العددية البشرية، ثم الموقع الجغرافي المتوسط في قلب الجزيرة العربية، وما ينشأ عنهما من سيادة وسلطة ومهابة، مما ساعدها في المحافظة على نقاء معجمها وأبنيتها وتراكيبها إلى حد كبير، موازنة بحال غيرها من لغات القبائل الأخرى.

ونجد شيئًا متفاوتًا عن هذه اللغات – اللهجات – واختلافها في المعجم، وكتب اللغة، وفقهها وغريبها، وكتب النحو والصرف، لكن هذه الخلافات والاختلافات ليست واسعة، كما هو الأمر في اللغات اللاتينية مثلا، فالأصول واحدة، وليست القطيعة بين القبائل واسعة، إذ كانت الجغرافيا قريبة متداخلة بفعل الصلات والعلاقات الاجتماعية، وقد قَرّب بينها ووحّدها دين واحد، وأصول واحدة،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وجِوار واختلاط، وتاريخ واحد، ومصالح مشتركة متشابكة مستمرة، كل ذلك وغيره حفظ للعربية وحدتها وخصائصها المشتركة في مستواها العالي: الديني والفكري والثقافي.

ويجدر بنا أن نتذكر أن التأثر والتأثير متبادل بين اللغة والمجتمع، والتأثير قد يكون واضحًا ضارًّا بها (باللغة)، إذا ازداد حجم التهديد – أو حتى التداخل – اللغوي من اللغات الأعجمية بخاصة، لما لها من بريق حضاريّ خَلّاب جَذاب للأطفال بخاصة، ولبعض الكبار، فينجرفون نحو بريق اللغات الحضارية الوافدة الغازية، وقد يعتادون تقليدها أو التعبير بمعجمها أو تراكيبها، ويتنكّرون للغتهم وتاريخهم وتراثهم.

ويزداد الأمر وضوحًا وخطرًا إذا أهملنا لغتنا القومية وأبناءنا، وقلّ اهتمامنا وعنايتنا بلغتنا القومية الواحدة، وإذا قصّرنا في تقديمها بثوب قشيب محبّب، وأسلوب منافس جَذاب للصغار بخاصة، وللكبار أيضًا في منازلنا ومدارسنا وشوارعنا، ومحالّنا التجارية والعامة، ودعاياتنا وإعلاناتنا وأسواقنا.

فدراسة اكتساب اللغة من أهم موضوعات علم اللغة النفسي؛ الذي يَدرس كيف يتعلم الطفل اللغة: مفرداتها وقواعد تركيب الكلمة والجملة فيها.

وكما أن لغة الأطفال تختلف على مستوى المعجم والأصوات والبِنى والتراكيب الجُملية– تختلف عن لغة الكبار في بعض الجوانب أو أكثرها ،فإن لغة الكبار يقع فيها اختلاف أيضا؛ فللبيئة أثرها، وللأصول الاجتماعية أيضا، والمستوى التعليمي والثقافي وغيرهما، وللمواقف الاجتماعية للمتكلم والمتلقي أو المتلقين، كل ذلك له أثره في اختلاف الأداء اللغوي.

وكذا، فإن لغة الرجال الذكور تختلف في الأداء عن لغة النساء – أعني: العادات الكلامية على مستوى الأداء في الأصوات والمعجم، وعلى مستوى التراكيب أحيانا بشكل أقل، لأن نظام التراكيب الجملية اللغوية أكثر ثباتًا واستقرارًا، وأقل تأثّرًا من الأنظمة اللغوية الأخرى، والصفات التي تتميز بها اللهجات تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها.

كما نلحظ اختلافات لغوية – أو لهجية – على المستوى الثقافي وعلى المستوى الاجتماعي أيضًا.

كل هذه الاختلافات نُحسّها ونلحظها، ونلحظ آثارها على مستوى التواصل والمخاطبات، ويحاول علم اللغة الاجتماعي واللسانيات التواصلية تتبع تلك المظاهر والظواهر ودراستها وتحليلها، ليخرج بنتائج علمية وتفسيرات وتوجيهات دقيقة ومفيدة.

وقد ولّد الاهتمام بالعلاقة بين المجتمع واللغة، وبمظاهر هذه العلاقة وآثارها ونتائجها – ولّد ذلك الاهتمام فرعًا خاصًّا ومجالا متخصصًا في حقل الدراسات اللسانية، إن على مستوى الأصوات، وإن على مستوى المعجم والدلالة، وإن على مستوى التراكيب والجمل، وكل هذه الدراسات أغنت الدراسات اللسانية الحديثة في مجالاتها المختلفة.

فاللغة صورة، أو مرآة تعكس صورة المجتمع: سيرته، وثقافته، وتاريخه، واقعه وآماله وآلامه ومستقبله.

ولا يغيب عن البال أن اللغة تتأثر بأصول المجتمع أيضًا، وعقيدته وعاداته وممارساته أيضا.

والعلاقة قوية واضحة بين ما تحمله اللغة بألفاظها وتراكيبها وبين ثقافة المجتمع بطرفيه: المرسل (المبدع المتكلم)، والمتلقي (المستقبل).

وعلم اللغة الاجتماعي يبحث في هذه العلاقة وحدودها، وفي الأثر المتبادل بين المجتمع ومفاهيمه وثقافته وعقيدته وتربيته وعاداته من جهة، ولغته من جهة أخرى؛كما يبحث هذه الأمورَ أيضًا علم الاجتماع اللغوي، وتزدهر اللغة بازدهار المجتمع ومُكوناته ومتعلّقاته، وهي –اللغة– إحدى متعلقاته طبعًا، وقد تتخلّف بتخلّف المجتمع أيضا، وهنا قد تنهزم أمام اللغة الأخرى، أو تحلّ محلها اللغة الغازية أو الوافدة، أو تُهجّن باللغة الوافدة، وبخاصة إن كانت هذه اللغة الوافدة – أو المهزومة أحيانا – تتميز بعناصر وخصائص ومزايا ومقوّمات أقوى من خصائص اللغة المنتصرة والأقوى سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا؛ أو إن كانت هذه اللغة الوافدة الغازية ذات سمات وخصائص من أصول واحدة مشتركة.

وبسبب هذه العلاقة العضوية المتينة بين اللغة والمجتمع، ظهرت وازدهرت دراسات متخصصة، أسست لظهور علم خاص متخصص هو علم اللغة الاجتماعي، وقد يطلق عليه علم الاجتماع اللغوي.

ويجد الباحث أثرًا أو ذكرًا أو إشارة لهذه العلاقة في زمن مبكر في الدراسات اللغوية العربية القديمة السابقة، وما تركيز السابقين على العلاقة بين المقام والمقال، ومناسبة المقال للحال أو المقام الا إحساس ناضج وإدراك ذكيّ ومبكّر لهذه العلاقة، حتى أنهم قصروا البلاغة

والتفوق فيها على (مناسبة المقال للمقام أو للحال).

ونجد اهتمامًا واضحًا بهذه القضية في أزمان وعصور مبكرة في الدراسات الأدبية واللغوية العربية القديمة للجاحظ وابن قتيبة والعسكري والجرجاني،وغيرهم كثيرون من المفسرين والشُّراح والبلاغيين.

وقد أكدوا جميعًا أن اللغة وسيلة تعبير وتواصل، وهي تؤثر في الجملة أو المجتمع كما تتأثر به، فهي صورة للمجتمع ومرآة له: تعكس سيرته، وتاريخه، وثقافته، وواقعه وماضيه ومستقبله، وعاداته وتقاليده، وأفراحه وأحزانه وكل متعلقاته.

فاللغة تحمل لنا العلاقة بين معنى الكلمة والعبارة من جهة، وثقافة الفرد والمجتمع من جهة أخرى، وعلم اللغة الاجتماعي يبحث في هذه العلاقة القائمة بين الطرفين وحدودها، كما يبحث في الأثر المتبادل بين المجتمع ومفاهيمه وثقافته وعقيدته وتربيته وعاداته من جهة، ولغته من جهة أخرى.

ولا يغيب عن البال أن اللغة مرآة للمجتمع، تعكس صورة صادقة عنه، تؤثر وتتأثر به أيضا، تزدهر وتنهض وتقوى وتنتشر بازدهاره، وتتكفئ وتتخلّف بتخلّفه، وهنا قد تُهجّن بلغة أخرى، أو تحلّ محلها اللغة الأخرى، وتُكتب الغلبة عادة – في صراع اللغات – للغة الأقوى في عناصرها أو مكوّناتها ومقوماتها، وقد تكون الغلبة – أحيانا – للغة الأقوى سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا أو ثقافيا.

وبسبب هذه العلاقة العضوية المتينة بين اللغة والمجتمع وأحواله ومتعلقاته، ظهرت – كما ذكرنا – علوم متفرعة متخصصة، حاولت وتحاول تفسير هذه الظواهر والعلاقات ونتائجها وآثارها، على كلا الطرفين، فيجدر بنا أن نجدّ في البحث عنها والاطلاع عليها، واستيعابها، وحسن الإفادة منها؛ ولا بأس من الاطلاع على تجارب الأمم الأخرى التي أحسنت في مسيرتها.

ولا بأس في الإفادة من تلك التجارب، التي هدفت وتهدف إلى حرص تلك الأمم على نقاء لغتها وسلامتها، وتهتم بنقل المصطلحات والبحوث إلى لغتها القومية وهذا ما تحرص عليه الأمم الحية، الحريصة على مواكبة العلوم العصرية والإفادة منها، بعد نقلها وترجمتها من اللغات المختلفة إلى لغاتها القومية، ليتسنى لأبنائها وعلمائها الاطلاع على أحدث ما وصلت إليه الأمم المتقدمة، كما فعلت وتفعل إيران - مثلا – إذ تَدخّل رئيس الدولة، وأصدر أمرًا إلى جميع دوائر الدولة ومَرافقها بتغيير جميع المصطلحات الحضارية الأجنبية في إيران إلى اللغة القومية الفارسية الإيرانية. وهكذا فعلت وتفعل جميع الدول الحية التي تحرص على سلامة لغتها ونقائها وسيادتها، ولتواكب أحدث ما تصل إليه الحضارات العالمية تمهيدًا ومفتاحًا للتقدم والسيادة الوطنية القومية.

وكما فعل الراهب الإيطالي (بارازيليوس) رئيس جامعة (جنوا) الإيطالية الذي أمر بجمع كتب العلوم المختلفة من مكتبة الجامعة – وكانت كلها بالعربية، وهي المراجع الوحيدة في الجامعة في تخصصاتها، أمر بجمعها في أكبر ميادين الجامعة، ونادى بجميع منسوبي الجامعة: طلاّبا وموظفين وأساتذة ومحاضرين، ثم أمر بإضرام النار فيها جميعا، وتعالت صيحات الاستنكار والاحتجاج على هذه الفِعلة.

لكن هذا الراهب العالم البعيد النظر لم يَأْبَه بكل ما قيل وما سمع، وتابع موقفه بإصدار أوامره إلى جميع منسوبي جامعته – أوامره المشددة المؤكدة.

أمر أن يبادروا إلى تأليف كتب ومذكرات للطلبة باللغة القومية الإيطالية، وتابع هذه العملية النهضوية العظيمة الرائدة- علميًّا – بالمحاسبة بالثواب والعقاب.

وأقول: لولا هذا الموقف البطولي الرائد لربما تأخرت النهضة العلمية الأوروبية في بلاده على الأقل سنين أو عقودًا وربما أطْول من ذلك.

أقول هذا – بمرارة وصراحة -، لأني عايشت – أو عشت – مأساة شبيهة عندنا في بلدنا العزيز، وأقول (مأساة)، لأنه لم يكتب لها النجاح، لأسباب متعددة كثيرة، لا أشك أنكم أيها الألبّاء تجهلونها في مجتمعاتنا العربية المتماثلة وهي الركون إلى التدريس باللغات الأجنبية، بما في ذلك من إهمال وازدراء للغتنا العربية الشريفة ذات التاريخ العظيم المشرّف، وما العيب إلاّ فينا.

وأقول ذلك برغم أن قوانين الجامعات لدينا تتضمن مادة تنصّ صراحة أن اللغة العربية لغة التدريس والمحاضرة، وفي حالات خاصة يمكن تدريس بعض المواد العلمية باللغة الأجنبية؛ أي أن الأصل هو تدريس جميع العلوم والمعارف بالعربية، وتدريسها أو تدريس بعضها باللغة الأجنبية هو الخروج على الأصل؛ فسبحان الله، كيف انقلب الأصل وضاع، وصار الخروج على الأصل أصلاً؟!!! وأكثر أبنائنا الطلبة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ضعاف في اللغة الأجنبية، فيتخرجون ضعافًا في العلم، وفي اللغة الأجنبية وفي اللغة العربية !!!

العربية ومصطلحاتها بين الاستعمال والإهمال

مرّ على العربية قرون وعصور من الازدهار، كانت منارة إشعاع وعطاء علمي وأدبي على مستوى العالم المعروف – تقريبًا – آنذاك، وظلت كذلك على منصة العطاء والقيادة قرونًا، ثم بدأ الضعف يدبّ في عروقها، فلم يكلّف أبناؤها أنفسهم البحث عن علاج لهذه الحالة، وهي حالة لا ذنب للغة فيها، وإنما الذنب والجرم نتحمّله نحن – أهلها –، فالعربية بخصائصها المختلفة لا ضعف فيها ولا تخلّف؛ بل هي لغة أثبتت قدرتها – بخصائصها – انها لغة استوعبت العلوم والآداب، وعبّرت بنجاح، ولا تزال حينما تُتاح لها الظروف.

وينبغي أن ننتبه لسلامة لغتنا على مستوى التواصل اليومي الفردي والجماعي والرسمي، وأن نخلّص لغة الخطاب والتواصل من الألفاظ العاميّة والأعجمية الأجنبية ومصطلحاتها، ومن الألفاظ والتراكيب والمصطلحات القُطرية المبتذلة أو المحرّفة؛ وبذلك نضمن تحقيق خطوة أولى رئيسية وضرورية في تحقيق أهدافنا.

وينبغي – أيضًا – الإخلاص والاهتمام بلغة التدريس والمحاضرة، وبلغة التواصل الصفّي المدرسي والجامعي، وأن يكون المحاضر أو المدرس هو القائد والقدوة، وألا يُكتفى بتحميل العبء والمسئولية على المدرس أو المحاضر، أو معلم اللغة العربية وحده؛ فهذا المسلك والتنصّل والتهرّب من تحمّل المسئولية؛ مسئولية خدمة لغتنا العربية والارتقاء بها في مجالات البحث والعلوم والحياة، أدّى ذلك كله إلى تراجُع قوميّ شامل، وإلى وضع غير مرض للغتنا العربية (١)؛ وإن كان بعضنا – أو بعض المسئولين – يتعامى، أو يتظاهر بالصمم، ويدّعي، أو يعجبه أن يسمع الثناء عليه من بطانته، وأن الأمور – أمور الأمة كلها، ومن ضمنها اللغة العربية ومصطلحاتها وسيرورتها وانتشارها بخير.

ويؤكد لنا الباحثون والعلماء المنصفون والمدقّقون من كل الأمم أن اللغة العربية لا تقل بخصائها ومكانتها عن أرقى لغات العالم، إن لم تفُقْها، وهذا العلامة عباس محمود العقاد يقول: ((ومن دواعي الرضا – بحمد الله – أن يسعدنا علم اللغات الحديث في ما نبتغيه من ثقة ومن معرفة بالحقيقة. فإن هذا العلم الذي تَولّاه على أيامنا أناس من غير أبناء الضاد يعطينا معيارًا صادقًا نعرف به مكان هذه اللغة العريقة بين لغاتهم الشائعة،.....))(٢)

ولا ينبغي – ولا يُقبل – أن تُفرض لغة أجنبية على عموم الأمة. (٣)

ونحن نرى أن يتعمق الطالب أو الباحث في جوانب لغته القومية وعلومها وفنونها ومصطلحاتها ومفاهيمها، على أن لا يهمل اللغة الأجنبية، وأن يعطي لها الحجم المناسب، إذ لا يحق لها أن تقصي العربية عن مواقعها، ولا أن تجور عليها في ألسنة أهلها أو مجتمعهم (٤). فمعرفة لغة ثانية وإتقانها، بل لغة ثالثة أمر مفيد للفرد وذويه ومجتمعه؛ لكن على أن لا تكون معرفة اللغات الثانية والثالثة على حساب اللغة الأم التي بها نعتز ونفاخر.

فالأساس المكين والأصل أن تكون معرفتنا بلغتنا العربية الأم واسعة عميقة؛ على مستوى التأصيل والدلالة، وفقه اللغة والمعجمة والاشتقاق، ولغات القبائل المختلفة؛ هذه أمور ينبغي للّغوي أن يُلمّ بها، أو يحيط بأكثرها ما أمكن ذلك. وعلى اللغوي أن يلمّ باللغات الأجنبية، أو الضروري ذي العلاقة الحضارية والتاريخية بلغتنا العربية.

فالتأثر والتأثير بين اللغات واضح لا ينكر، فلا يوجد لغة أو قوم على مرّ التاريخ وسعة الجغرافيا إلّا أثّر وتأثّر بشكل ما وبقدّر ما بغيره؛ ويظهر هذا الأثر – تأثّرًا أو تأثيرًا في مباحث الاقتراض اللغوي.

وما المعرّب والدخيل في لغتنا إلا من باب التأثّر بلغات الجوار والحضارات السابقة، فمن أراد استعراض الألفاظ والمفردات في لغتنا وجد قوائم من الألفاظ. ذكر الأستاذ نور الدين صمود سبعًا وثلاثين لفظة حبشية (٥) في القرآن الكريم، وخمسًا وعشرين لفظة سريانية، وسبع عشرة لفظة عبرية، وإحدى عشرة لفظة نبطية، وذكر مجموعة من الألفاظ الهند وأوروبية، والبربرية، والقبطية، وغيرها.

وها هو أ. أحمد الشرفي يسهم ببحث مفيد عميق وإن كان موجزًا – يقول – " ولهذا فإن شكوانا من قصور لغتنا أو اتهامنا لها بالعجز فإنما هو جهل بمكامن الطاقة ومراكز القوة المحرّكة للعربية – أوّلًا – قصور فكري ونقص كفاءة [كذا] علمية ثانيًا، وعدم استعمال لما هو موجود، أو لما استجدّ – ثالثًا – سواء في الإعلام أو الإدارة أو التعليم، فاللغة تحيا بالاستعمال، وتموت بالإهمال. وموت اللغة دليل على

موت أهلها ماديًّا أو فكريًّا أو حضاريًّا.

وقد يدور جدل بين فريقين من أبناء الأمة: فريق لا يبالي بنقاء لغة الأمة، وسلامة عربيتها، ولا يبالي بهويتها ولغتها، ويستخدم اللغات الغازية ومصطلحاتها شرقية أو غربية، وأرى من خبرتي أننا نميل إلى تقليد الغربية والاقتراض منها، ولذلك أسباب معروفة، وأهمها التبعية الطويلة، فنحن نقترض بوعي أو لا وعي ألفاظًا وعبارات ومصطلحات من الإنجليزية – في أكثر الأقطار العربية –، ومن الفرنسية – في أقطار عربية أخرى- بحسب التبعية السياسية والاقتصادية، وربما العسكرية – الاحتلال والانتداب – وقد يحاول بعض الساسة أن يهوّنوا الأمر علينا بقولهم ((علاقات وتعاون و.....)).

وما يهمنا هنا هو أثر هذه العلاقات اللغوي، " إذ إن منطق التابع والمتبوع ليس منطق التلاقح الحضاري، وإنما هو منطق الهيمنة والاستعباد من قبل المتبوع، والخضوع والانبهار من قبل التابع.

وهو منطق الغازي المنتصر والمغزوّ المهزوم. وقد سبق أن أشار إليه المفكر العربي الاجتماعي الفذّ ابن خلدون، عندما ذكر أن المغلوب مولع بالتشبّه بالغالب في زيّه ونِحلته، وسائر أحواله وهذا ما يحدث الآن بيننا (٦).

أقول: متى تمسّك العربي أو المتكلم بلغته، فإنها تصبح سليمة، وتتولد لديه القدرة على إطلاق المصطلحات العربية المناسبة والدالّة، ومتى قبلتها الجماعة اللغوية وتداولتها، نالت شهادة القبول والديمومة، بعد الاتفاق والاصطلاح عليها، وعلى مفاهيمها ودلالاتها.

وإن أكثر ما يسوء ويسيء إلى اللغة وأهلها عدم استخدامها سليمة في المدارس ومعاهد العلم والجامعات، فلغات أكثر المحاضرات إما عربية سوقية عامية، وإمّا رطانة أجنبية.

وإذا ما انتقلنا إلى الشارع والأسواق والأماكن العامة أصابنا صداع ودُوار مما نسمع من لهجات التخاطب، ومن لوحات الإعلانات التجارية الخاصة، وبعض اللافتات واللوحات الرسمية التي لم يدققها لغويون متخصصون، او أن تكون الأمور قد أُسندت إلى غير أهلها وغير الأكفياء.

وهذا لغويّ مُرَبّ آخر عاش في منتصف القرن الماضي في فلسطين وبلاد الشام، وهو الأستاذ المجمعي خليل السكاكيني، صاحب المنهج التعليمي في العربية يرى ((أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب (٧).

ويؤكّد في موضع آخر قائلًا: ((لا تحيا لغتنا إلا إذا كانت لغة التعليم،.....)، أما التكلم فيجب على الأستاذ أن لا يخاطب تلاميذه إلّا باللغة الصحيحة، وألّا يستعمل اللغة المحكية في حال.(٨)

ومن جميل ما ذكره هذا المربي الخبير الفاضل – وأعتذر إن أطلت للإفادة – قوله: " ما أشبه أستاذ اللغة العربية الذي يعلّم اللغة الصحيحة ولا يتكلّم إلا بالعامية كمن يعلم اللغة الإنجليزية وهو يخاطب تلاميذه بالفرنسية أو غيرها " (٩)

أقول: إنه رأي لغوي خبير خبير مخلص، فهل لنا نحن الآن آن نجرّب ونفيد من خبرته وديموته؟! أرجو ذلك.

وأختم قائلًا: إن اللغة وعاء لفكر الأمة، وهي التي تحمل إبداعات أبناء الأمة ولا أدري كيف تقبل أمة حية أن تبقى العلوم والإبداعات بلغات أجنبية، وكيف تكون كراماتنا حينما نمرّ في ممرات كليات العلوم المختلفة في جامعاتنا العربية؛ فلا نسمع إلّا رَطانات بالإنجليزية أو بالفرنسية، كأنك في جامعة أو بلد من تلك البلدان.

وأقول: هل تدرّس الجامعات اليابانية أو الصينية أو الكورية بالإنجليزية أو الفرنسية ؟!

هذه قضية تدفعنا إلى الاهتمام بالمصطلحات العلمية والترجمة.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

قائمة المصادر والمراجع

- د. جوزيف الياس (دفاعًا عن العربية) / ط١، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م.
- د. أحمد محمد الضبيب (العرب والخيار اللغوي)، ط١، الناشر نادي القصيم الأدبي – بريدة / السعودية (١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦م).
- خليل السكاكيني / مطالعات في اللغة والأدب) طبعة خاصة (٢٠٠٠م) منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية – غزة / فلسطين، صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٢٥م.
- عباس محمود العقاد / أشتات مجتمعات في اللغة والأدب – طبع دار المعارف بمصر (د.ت).
- د. عدنان حسن باحارث / التربية اللغوية العربية، ط١، دار للنشر والتوزيع – جدة / السعودية (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث (دراسات الملتقى الرابع لابن منظور) قفصة – تونس (٢٢ – ٢٥ ابريل ١٩٧٦م) منشورات وزارة الشئون الثقافية – تونس ١٩٧٨م.

الهوامش

١) د. جوزيف الياس، دفاعًا عن العربية ٨١، ٨٩

٢) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ١١٤.

٣) د. عدنان حسن باحارث / التربية اللغوية العربية ١١٤

٤) نفسه – بتصرف – عن د. أحمد محمد الضبيب / اللغة العربية في عصر العولمة (ص٢٩)

٥) بحث المعرب والدخيل ضروري لإزدهار اللغة..... (كتاب تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ص ٩٠ – ١٠٦)

٦) د. أحمد بن محمد الضبيب / العرب والخيارا للغوي ١٩٠

٧) خليل السكاكيني / مطالعات في اللغة والأدب ٨٢.

٨) نفسه ٨٦.

٩) نفسه ٨٧.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2